بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

كتب البروفيسور إسرائيل شاحاك مقالاً عام ١٩٧٣ . والبروفيسور الإسرائيلي يهودي تعرض للحبس في معسكرات الاعتقال النازي في طفولته [١] وهو حاليًا رئيس المنظمة الإسرائيلية للدفاع عن الحقوق المدنية . كما أنه يدافع عن حقوق الفلسطينيين في إسرائيل والأراضي المحتلة ـ كتب مقالاً للرد على هجوم عنيف ضده في الصحافة الإسرائيلية : في صحف معاريف ـ يديعوت آخرونوت ـ دافار ـ وجيروزاليم بوست ـ وعدد من الصحف الأخرى التي نشرت أكاذيب عديدة عنه دون أن يعطى الفرصة للدفاع عن نفسه وقد قبلت هاآرتس أن تنشر مقاله غير أنه بعد ٣ أسابيع أعلن رئيس التحرير جيرشوم شوكن أنه لن ينشر أي مقال يكتبه إسرائيل شاحاك .

وفي يناير ١٩٧٤ قبلت جريدة ميدل ايست انترناشيونال أن تنشر مقتطفات منه في ملحق لها .

يقول شاحاك : في رأيي أن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ليس فحسب نظامًا يتسم بعدم الليبرالية ولكنه نظام قمعي شديد القسوة والرجعية في العصر الحديث لا يمنح المواطنين أي حقوق للنضال من أجل مطالبهم . ولذا فمن حق الناس أن يختاروا وسائل أخرى للكفاح في سبيل حقوقهم .

ورغم أن البروفيسور إسرائيل شاحاك يدين بعض هذه الأساليب إلا أنه يتفهم الأسباب التي تدعو إليها . هذا في الوقت الذي تتجاهل فيه السلطات الإسرائيلية العوامل التي تدفع الفلسطينيين للنضال والتعبير عن إرادتهم .

كتب إسرائيل شاحاك ـ الذي يصفه الشكعة بالأمانة والشجاعة ـ في جريدة بي هاتون الجريدة الأسبوعية لطلاب جامعة الخليل بالقدس سنة ١٩٧٥ : في رأيي أن

(1) المقصود هو موعد نشر الكتاب سنة ١٩٨٠ « المترجم » .

إسرائيل دولة عنصرية تمامًا : وفي هذه الدولة يعاني الناس ذوو الأصول غير اليهودية من التمييز العنصري ضدهم في كل جوانب الحياة .

لقد كان يكتب عن إسرائيل ولكن في المناطق العربية المحتلة فإن الأوضاع أكثر سوءًا .

من المفهوم أن الفلسطينيين سوف يقاومون بكل الوسائل التي يملكونها ضد القسوة وضد الوحشية وأساليب الاحتلال غير الإنسانية التي يعانون منها . ولكن العالم الخارجي لا يتفهم صعوبة اختيار أساليب المقاومة الملائمة .

لدى بسام الشكعة معرفة شخصية بكثير من الحالات التي تصور المعاناة والمشكلات القائمة على سبيل المثال : حالة أحمد بكر حجازي (٢٨ عامًا) وهو فلسطيني كان يعيش في أحد معسكرات اللاجئين قرب نابلس وينتمي لمنظمة فتح .

حين دخل في يناير ١٩٦٥ مع وحدة فدائية إلى الأراضي المحتلة اصطدمت مع داورية إسرائيلية . وقع حجازي في الأسر بعد أن جرح في المعركة .

وأخفى الإسرائيليون الأمر كله لمدة ٤ شهور ثم حكم عليه بعقوبة الإعدام طبقًا لأربع تهم وجهت إليه : استخدام سلاح ناري ضد قوات الدفاع ، التسلل ـ حمل متفجرات ، التخريب .

ورغم أن الأسير يعد جنديًا طبقًا لمعاهدة جنيف رفض الإسرائيليون تخصيص محامي أجنبي للدفاع عنه . وبعد مداولات تحول الحكم إلى السجن ٣١ عامًا .

هذا الحكم مخالفة صارخة لمعاهدة جنيف لأن المنطقة التي تم أسر حجازي فيها هي منطقة واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي حيث أنها تعد ضمن أراضي التقسيم العربية طبقًا لقرارات الأمم المتحدة .

وهذه القرارات التي لم تعترف بها إسرائيل للجانب العربي تتخذها في نفس

الوقت ذريعة تبرر بها أعمالها العدوانية في فلسطين . ومع ذلك ما تزال تهزأ أو تسخر من العديد من هذه القرارات التي تصدر عن الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

من الواضح أن محاولة أي فلسطيني الالتحاق بالفصائل المسلحة للقتال ضد قوات الاحتلال الصهيوني تعتبر غير شرعية . وبالتالي في حالة الوقوع في الأسر لا يعامل طبقًا لقواعد القانون الدولي .

لهذا السبب فإن بعض الفصائل الفلسطينية اختارت أن تقوم بعمليات اختطاف للطائرات وأيًّا كان ما يحققون فإن هذه العمليات قد وضعت قضية الكفاح الفلسطيني موضع الاهتمام الدولي .

رغم ذلك فإن الصحافة العالمية التي فشلت في إدانة سرقة وطن بأكمله ووضع سكانه الطبيعيين تحت قيود الاحتلال فإن هذه الصحافة احتجت ضد هذه العمليات وبالتالي فإن هذا الموقف يجعل الفلسطينيين في وضع أكثر صعوبة حيث يساء تفسير عمليات الاختطاف .

لقد كان موقفًا يتسم بالنفاق ذلك الموقف الذي ترتب على مجموعة من الأحداث ، مما جعل بسام الشكعة شخصية مرموقة على المستوى الدولي .

هذه الأحداث بدأت في شهر سبتمبر عام ١٩٧٢ عندما قام ثمانية من الفلسطينيين المسلحين بالكلاشينكوف والمسدسات والقنابل اليدوية ودخلوا إلى الجناح الإسرائيلي في دوره الألعاب الأولبية في ميونخ .

وفي العملية المسلحة التي قام بها الفلسطينيون قتل إثنان من الإسرائيليين وهما جوزيف رومانو وحارسه الأمني مدشيه ويمبرج وقاموا بأسر تسع أعضاء من الوفد الإسرائيلي رغم أن الصحافة العالمية وصفتهم أنهم رياضيون إلا أنهم كانوا

من رجال لأمن .

طالب الفلسطينيون بإطلاق سراح مائتي معتقل فلسطيني في سجون إسرائيل وممرًا آمنا في ألمانيا . تم أخذ الرهائن وخاطفيهم إلى مطار عسكري حتى يبدو الأمر كان إسرائيل مستعدة للتعامل مع الموقف .

والشيء الذي لم يدركه العالم ـ مع الزمن ولا يزال لا يدركه حتى الآن هو أن إسرائيل ليست مهتمة بالخسائر في الأرواح وبسبب الإصرار الإسرائيلي قام جنود من الوحدات الخاصة والقناصة الألمان بمهاجمة الخاطفين .

وكنتيجة للهجوم الذي تم بالقنابل اليدوية وطلقات الرصاص .. قتل الرهائن جميعًا وجرح بعضهم لكنهم ماتوا بسبب الاختناق الذي نجم عن الدخان أثناء العملية .

قامت الصحافة الإسرائيلية والعالمية بتصوير الأمر كأنه مذبحة قتل بدم بارد . وبالطبع أدينت العملية في نفس الوقت الذي لم يسمع فيه أي صوت احتجاج ضد عمليات القتل التي كانت تقوم بها وحدات من الجيش الإسرائيلي ضد الأبرياء من الفلسطينيين واللبنانيين رجالاً ونساء وأطفالاً في عمليات القصف الجماعية على جنوب لبنان .

جرت محاولات أخرى قامت بها المقاومة الفلسطينية باحتجاز رهائن لمبادلتهم مع أسرى فلسطينيين في السجون الإسرائيلية وفي واحدة من هذه المحاولات طالبت المقاومة بإطلاق سراح ٢٦ سجين فلسطيني (كان هذا بمناسبة مرور ٢٦ عامًا على قيام دولة إسرائيل) . يعني بمعدل أسير عن كل سنة من سنوات الاحتلال . وبين المسجونين المطلوب إطلاق سراحهم كان هناك اثنان من اليهود الإسرائيليين الذين اتهموا بالعمل مع المقاومة الفلسطينية . والرهائن الذين تم أسرهم في مدينة معلوت ذكرت الصحافة العالمية أنهم من أطفال المدارس بينما كانت الحقيقة أنهم من

طلاب المدارس العسكرية .

وادعى الإسرائيليون أنهم قبلوا بشروط المقاومة . ولكن كما كتب ديفيد هيرست مراسل صحيفة الجارديان البريطانية في منطقة الشرق الأوسط في كتابه البندقية وغصن الزيتون : أن هذا الموقف المعلن كان لمجرد التأثير في الرأي العام وقالت الصحافة الإسرائيلية ، من الواضح أن الحكومة الإسرائيلية قررت اقتحام المدرسة .

وباختصار قبل انتهاء الليل تمت عملية الاقتحام وقتل عشرون من الرهائن أثناء الهجوم وما قيل بالطبع أنها مذبحة نجمت عن العمل الإرهابي الذي نسب إلى الفلسطينيين .

في مارس سنة ١٩٧٨ استطاعت مجموعة من رجال المقاومة الوصول إلى إسرائيل . وفي الطريق المؤدي إلى تل أبيب قامت باختطاف أتوبيس به إسرائيليين .

وشنت وحدات من الجيش هجومًا على الخاطفين فقتل ٣٤ من الرهائن . وكما ذكرت صحيفة التايمز : لقد شنت إسرائيل هجومًا انتقاميًا على لبنان قتل فيه ألف لبناني طبقًا لرواية دبلوماسيين غربيين وشرد قرابة مائة ألف أصبحوا بلا مأوى .

وبمرور الوقت تبين أن قتل الرهائن الذي نجم عن الهجوم الإسرائيلي كان شيئًا مبهجًا لدى الصحافة الغربية . وبالتالي ظلت تردد مرارًا وتكرارًا أن مذبحة قتل الرهائن قام بها الفلسطينيون .

وفي وقت لاحق حاول بسام الشكعة أن يضع هذه الأحداث في إطارها الصحيح .. مما قاد إلى أحداث أخرى جديدة متتالية .

◆ ◆ ◆